المبدأ 2

احصل على النصر قبل أن تعلن الحرب

المغزى:

ما لا يدركه الضعفاء ويقتنع به الأقوياء أن «الانفتاح» سلاح ماض (يجرح ولا يقطع). لذا من الأفضل أن يكون المرء حكيماً في إظهار نواياه، مسيطراً على مشاعره وأحاديثه، متحكّماً في عواطفه، القوي من يُفصّل كلماته وفق ما يرغب الآخرين سماعه، ولا يفتح صفحات قلبه وفكره لكل عابر، إن بدا المرء منفتحاً أكثر من اللازم أصبح شخصاً من السهل التنبؤ بأعماله وبالكاد يمكن احترامه أو خشيته. فإذا كنت متعطشاً للسلطة درّب نفسك على إخفاء النوايا والعب لعبة «الغامض» بأن تغطي أعمالك بسواتر دخانية وتظهر بأنك تريد شيئاً بينما في حقيقة الأمر أنت غير مهتم به على الإطلاق، بمثل هذا التكتيك تُبعد المُغرضين عن وضع العراقيل في طريقك. فالجنرال

البارع الذي يحقق نصراً باحتلال قلعة خصمه لا يُعلن خطّته على الملأ. لذا أخفِ غرضك واكتم تقدمك، ولا تكشف عن مدى خططك حتى تصبح نافذة. حاول أن تُبقي الناس في حالة عدم توازن بعدم الكشف عن الغرض من وراء أعمالك، لأن ذلك يجعلهم في حيرة ـ ليس لديهم أدنى مؤشر عن تحركاتك ـ فلا يستطيعون عندها تهيئة أي دفاع، دعهم يقطعون مسافة بعيدة عبر الطريق الخاطئ بحيث يكون قد فات الأوان في أن يدركوا خطأهم أو خدعة تمويهك.

بعض من حولنا ـ يظلون دائماً غامضين ـ يصعب سبر غورهم إلى حد ما، وربما هذا «تكتيك» منهم لجعلنا غير قادرين على معرفتهم، وأي سذاجة منك تجاه هؤلاء تجعلك بالطبع أخرق، لذا العب اللعبة نفسها معهم ـ خاصة إذا أردت أن تكون من ذوي النفوذ والنجاح ـ بأن تستدرج الآخرين بالابتسامة الجاذبة ثم أثر غباراً عاصفاً بوجه منافسيك حتى تدفعهم إلى الاعتقاد الخاطئ بأن مظاهرك هي «الواقع»، استعر ثوب الود ممن يتصفون بالوداعة لتمرير غايتك، فالثعلب الذي يودّ أن يدخل قن الدجاج يرتدي جلد الخروف لما يُعرف عن وداعته.

المثال

لعبت دنيا ـ ولها من العمر ثلاثة وعشرون سنة ـ لعبة غير مأمونة، عندما ارتبطت عاطفياً بأكثر من شخص، كلٌّ منهم مختلف عن الآخر، الأول يكبرها بـ 13 سنة، والثاني بأربع سنوات، كانت حياة

الثاني طائشة وهي التي ساعدته على أن يتغير عندما أعلمَته بحبها له واشترطت عليه الاتزان في التصرف.. لكنها بعد فترة شعرت بأنه لا يُناسبها وطلبت منه أن يُنهيا العلاقة.. إلا أنه رفض ذلك مهدّداً إياها بأنها إنْ تركته سيعود إلى الأسوأ في حياته، لم تأبه لذلك لأنها على صلة بابن عمتها (الحبيب الأول) وسبب ارتباطها به هو تقربه منها ـ وهي الطالبة الجامعية البعيدة عن أهلها في المدينة ـ فهي تجده دائماً الرفيق والقريب.. تقول دنيا أنها الآن في حيرة: ماذا تفعل إزاء الشاب الثاني الذي أحبها وتعلق بها ويتعقّبها؟، وهي ـ تالياً ـ لا تطيق أن يعرف ابن عمتها بالعلاقة السابقة ويفقد الثقة بها؟

رغم أن دنيا ـ فتاة لعوب ـ غير ناضجة في علاقاتها ولا تعرف أين تتجه، وأثارت غباراً كي تجعل الآخرين محتارين في أمرها، إلا أن ذلك انقلب عليها سلباً؛ فالانزلاق نحو علاقة غير مؤكدة وواضحة والتغيير المفاجئ الذي نستخدمه للعب على الأمور لم تحسنه دنيا.. حتى أصبحت في دائرة التهديد بكارثة (إما عنف من الشاب الذي تركته، وإما انعدام الثقة وعدم الاحترام من ابن عمتها).. قد لا يستطيع أحدنا تغيير وجهة الرياح ولكنه يمكنه على الأقل توجيه أشرعة قاربه كي يصل إلى مقصده بأمان وهذا ما لم تُحسنه صاحبة الحالة.

لذا من المهم جداً أن نفرق ونميز بدقة بين الفشل في تنفيذ مفهوم ما بطريقة صحيحة، وبين فشل الفكرة بحد ذاتها.

الملخص:

اجعل نفسك كلاعب البليارد الماهر الذي يعمد إلى ضرب كرته البيضاء عدة مرات على جوانب الطاولة حتى تتجه إلى الجيب المستهدف. فإذا موّهت نواياك فسيصبح من السهل عليك أن تقود الناس إلى اتجاهات تحقق لك ما تريد عمله بالضبط.

المرادف:

- السياسة فنٌ في الخداع، تجد لها ميداناً واسعاً في العقول الضعيفة.

(الشاعر الفرنسي فولتير)

- يُمكن أن تنجز أموراً بابتسامة ومسدس أكثر بكثير مما تنجزه بابتسامة فقط.

(قول مأثور عن آل كابوني)

- حارب عدوك بالسلاح الذي يخشاه هو، لا بالسلاح الذي تخشاه أنت.

(الزعيم الهندي الراحل غاندي)

▪ ▪ ▪